

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2025/08/01
تاريخ القبول: 2025/11/21

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الفن التشكيلي كوسيلة تعبير لتعزيز الصحة النفسية للمرأة المعاقة

Plastic art as a means of expression to promote mental health for women with handicap

لزرقة سجيدة

المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة (الجزائر)،

lazreg.sadjida@cu-tipaza.dz

الملخص: يهدف هذا المقال إلى التعرف على الصورة النمطية للمرأة المعاقة في المجتمع، التعرف على آلية عمل الفن التشكيلي كوسيلة تعبير فعالة لها، التعرف على أثر ممارسة الفن التشكيلي على الصحة النفسية للمرأة المعاقة، والتعرف على الفوائد الاجتماعية التي يمكن أن تحققها من خلاله. توصلنا إلى أنَّ المرأة المعاقة تصارع مشاعرها الداخلية تجاه الصعوبات التي تمنعها من العيش حياة طبيعية، ومواجهتها لنظرة المجتمع السلبية، التي تزيد من ثقل التحدي لديها. تستخدم الفن كوسيلة للتعبير عما تعيشه من آلام وضغوط والذي يمكنها من تحقيق وتعزيز الصحة النفسية عن طريق آليتي التنفيس والتسامي. يمكنها الفن التشكيلي من مشاركة الآخرين المعاناة، من أجل الوصول إلى تقبلها ورؤيتها من منظور آخر.

الكلمات المفتاحية: إعاقة؛ الفن التشكيلي؛ الصحة النفسية؛ التنفيس، التسامي.

ABSTRACT

This article aims to identify the stereotypical image of handicap women in society, identify the mechanism of plastic art as an effective means of expression, identify the impact of practicing plastic art on the psychological health of handicap women, and identify the social benefits they can achieve through it.

We found that handicap women struggle with their inner feelings towards the difficulties that prevent them from living a normal life, and face the negative perception of society, which increases the weight of the challenge. She uses art as a means of expressing her pain and pressures, which enables her to achieve and promote mental health through the mechanisms of catharsis and sublimation. Plastic art enables her to share her suffering with others, in order to reach acceptance and see it from another perspective.

.Keywords: handicap; plastic art; mental health; catharsis; sublimation

تعد الإعاقة إحدى القضايا الإنسانية والاجتماعية التي تتطلب اهتماما متزايدا من الباحثين في شتى المجالات، نظرا لما تطرحه من تحديات متعددة الأبعاد، سواء على الصعيد الصحي أو النفسي، أو الاجتماعي أو الاقتصادي.

تعرف الإعاقة على أنها عدم القدرة على أداء وظيفة معينة يؤديها الشخص العادي بسهولة ويسر، والإعاقات مختلفة ومتعددة، فمنها الذهنية، الجسدية، والحسية وغيرها من الإعاقات المختلفة، والإعاقة إما تحدث منفردة أو مزدوجة أو متعددة. أما عن أسباب حدوثها فهي متعددة، منها المعروفة والكثير منها يبقى مجهولا، منها الأسباب الوراثية، ومنها غير الوراثية كالإصابات التي تتعرض لها الأم أثناء الحمل، أثناء الولادة، الإصابة بالميكروبات، التعرض للحوادث، التلوث السمعي، استنشاق الملوثات وغيرها من الأسباب المتنوعة. (جندل، 2016، الصفحات 17-18)

يسهل تعريف الإعاقة حسب يقدمه العلم والطب من أعراض ومواصفات تحدد نوع ونسبة الإعاقة، إلا أن وطأ وتأثير هذه الإعاقة على الشخص المعاق لا يمكن أحد رصدها وفهمها إلا المعاق بحد ذاته، الذي يتحمل عناء العيش بمعايير الشخص العادي، ولا يهيئ له المكان ولا الأشخاص ولا الوسائل التي تمكنه من العيش دون معاناة.

بالإضافة إلى هذه المعاناة يعيش الشخص ذو الإعاقة من معاناة من شكل آخر، معاناة من المجتمع الذي ينتمي إليه، والذي يسجنه في صورة نمطية سلبية تزيد من ثقل الآلام والجروح لديه. وصم بالخزي، والضعف، الركود، والاستسلام، التبعية ومحدودية الأداء والقدرات، وغيرها من الأوصاف التي تدفن فيها شخصية الشخص المعاق. إن ما نشير إليه ليس بتجريم مجتمع بأكمله ولكن نخص النسبة الأكبر من المجتمع الذي لا يعي متطلبات الشخص المعاق.

لا يكتفي المجتمع بهذا القدر من التفريق في التعامل مع الشخص المعاق وغير المعاق بل يتعدى الأمر إلى التمييز أيضا في تقبل جندر الشخص المعاق، فإذا كان رجلا فإنه يحظى بشيء من التقبل في مجتمع لا يعاب فيه الرجل، أما إذا كانت امرأة فهي بذلك تعدم في سجن الحرمان وسلب الحقوق، الحرمان من حق التعليم، التمهيّن، ممارسة الرياضة، الترفيه، إلى حد الزواج والانجاب.

تتأثر صحة المرأة ذات الإعاقة النفسية وتتأزم، وتجهد نفسها تعاني من ضغوطات وآلام من جراء مصير ليس لها يد فيه، فهي ولدت أو نشأت بإعاقة أو حتى أنها اكتسبتها لاحقا من خلال التعرض لحوادث وغيرها. تكبت المرأة ذات الإعاقة كل هذا الاحساس بالحرمان، والتفريق في المعاملة، والاحساس بالعجز أمام غياب التسهيلات، الاحباط من جراء مجتمع معاق في أفكاره، وغيرها من الآلام والمعاناة صعبة التحمل، فتقع فريسة الاضطرابات النفسية أو الانحرافات. إلا أن فئة من هؤلاء النساء ذوات الإعاقة يخترن التغلب على العضلات، ويكسرن القوالب النمطية التي وضعهن المجتمع فيها، ويسعين لتحرير أنفسهن من المعاناة ويتقاسمنها مع الآخرين بتوجههن إلى الفن. وفي دراستها الحالية نحاول التعرف على الآليات التي يحققها الفن لتعزيز الصحة النفسية لدى النساء المعاقات من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

- كيف تكون الصورة النمطية للمرأة المعاقة في المجتمع؟
- كيف يمكن للفن التشكيلي أن يعمل كوسيلة تعبير فعالة للمرأة المعاقة؟
- فيما يتمثل أثر ممارسة الفن التشكيلي على الصحة النفسية للمرأة المعاقة؟
- ما هي الاجتماعية التي يمكن أن تحققها المرأة المعاقة من خلال التعبير الفني؟

أهداف البحث:

- التعرف على الصورة النمطية للمرأة المعاقة في المجتمع.
 - التعرف على آلية عمل الفن التشكيلي كوسيلة تعبير فعالة للمرأة المعاقة.
 - التعرف على أثر ممارسة الفن التشكيلي على الصحة النفسية للمرأة المعاقة.
 - التعرف على الفوائد الاجتماعية التي يمكن أن تحققها المرأة المعاقة من خلال التعبير الفني.
- ولغرض تحقيق أهداف البحث سوف نعتمد على مقارنة تحليلية لمناقشة عناصر البحث والتي حصرناها في أربع عناصر ثم عرض لنموذج فنانة جزائرية من ذوات الإعاقة تحارب من أجل إيصال آلامها ومعاناتها من خلال الفن التشكيلي ومشاركتها في المعارض.

2. الصورة النمطية للمرأة المعاقة في المجتمع

تصنف الإعاقة في التصنيف الدولي للأداء، والإعاقة، والصحة لمنظمة الصحة العالمية بأنها "نتيجة أو حصيلة علاقة معقدة بين الحالة الصحية للفرد والعوامل الشخصية، والعوامل الخارجية التي يعيش فيها الفرد". (منظمة الصحة العالمية، 2025)

ومفهوم الإعاقة يشمل كل من يعاني من عاهات طويلة الأمد بدنية أو عقلية أو حسية تسبب بهم العجز والضعف وعدم القدرة على أداء وظيفة معينة يؤديها الشخص العادي بسهولة ويسر. (جندل، 2016، صفحة 19)

وحسب التقرير العالمي لمنظمة الصحة للإعاقة لعام 2011، يعيش 15% من سكان العالم ولديهم نوع من الإعاقة. ويعيش 80% من سكان العالم المصابين بالإعاقة في بلدان منخفضة الدخل. ويشهدون ظروفًا اجتماعية واقتصادية صعبة وانكارًا لحقوقهم. (منظمة الصحة العالمية، 2025)

تقل فرص المعاقين من التعليم والتمهين والزواج والانجاب رغم أنّ هناك نصوص قانونية تضمن حقوقهم ومواد تنص على ادماجهم. في الجزائر مثلاً، قدّمت الباحثة (فاصولي، 2021) دراسة بعنوان: الواقع الصحي والاجتماعي لذوي الإعاقات في الجزائر مفارقات بين التشريعات والواقع المعاش، وهي واحدة من الدراسات التي لا تختلف نتائج دراستها -على حدود اطلاعنا- عن نتائج باقي الدراسات في المجتمعات العربية ووفي كثير من دول العالم، بيّنت نتائجها أنّ نسبة البطالة بين المعاقين تفوق نسبة 80%، وغالبا ما يواجهون مشاكل كبيرة في التنقل، بسبب انعدام مسالك خاصة بهم في الميتر و الترامواي والحافلات، كما أنّ جل الممرات الخاصة بالمعاقين حركيا بالمراكز والمؤسسات العمومية غير مطابقة للمقاييس المطلوبة. (فاصولي، 2021، ص 228).

أما بالنسبة للحق في تكوين أسرة، بيّنت نتائج دراسة فاصولي (2021) أن نصف المعاقين لم يسبق لهم الزواج، وترتفع نسبة العزوبة بين الإناث مقارنة بالذكور، ويرجع السبب غالبا إلى النظرة المجتمعية السلبية تجاه المرأة المعاقة خاصة إذا كانت تنتمي إلى أسرة فقيرة، ما يجعلها تحمل في نفسها عبء الإعاقة ونظرة الشفقة واستصغار المجتمع، وهذا ما يزيد من سوء حالتها الصحية، إذ بينت دراسات نفسية أن أغلب المعاقين في الدول المتخلفة مصابين بأمراض نفسية بسبب ما يمارسه عليهم المجتمع من عزل. (فاصولي، 2021، ص 228)

تعاني النساء ذوات الإعاقة من الصورة النمطية الراسخة والتي تحرمهم من التمتع بحقوقهن، ومن الآثار المترتبة عليهن عدم وجود دور لهن في الحياة، وعدم وجود أدوار اجتماعية أو مسائل مؤسسية تتيح لهن الاضطلاع بتلك الأدوار، كما يمكن لتلك الآثار أن تغرس شعورا نفسيا بالاحتجاب أو الاغتراب عن الذات.

وعلى الرغم من مخاوف المجتمع من إنجاب النساء المعاقات أطفالاً غير عاديين ومعييين، لا أساس لها من الصحة في أغلبها، فقد أفضت هذه المخاوف الخاطئة إلى التمييز ضد النساء ذوات الإعاقة وحرمانهن من الانجاب، وهذا انفصام في المفاهيم، فمن جهة يتوقع من جميع النساء أن ينجبن، ومن جهة أخرى تثبط النساء ذوات الإعاقة عن الانجاب في كثير من الأحيان، ويجبرن كذلك على رفض الأمومة رغماً عن رغباتهن الشخصية. (حمود، 2023، صفحة 55)

ولعل النساء ذوات الإعاقة يشعرن أكثر من غيرهن بالنقص، وهو عامل يضاعف من احتمال التعرض للعنف الأسري وغيره من أشكال العنف، وتسهم صور وسائل الإعلام الشعبية في جميع أنحاء العالم في انتشار افتراض أن أجسام النساء ذوات الإعاقة غير جذابة، وأنها لا تستهوي جنسياً ولا تنطبق عليها معايير الجمال الاجتماعية، كما أنها تطلق على الجسد الأنثوي الطبيعي صفات متصلة بعلو الوجنتين، وحتى لون البشرة والسيقان الطويلة، وانعدام الدهون والتجاعيد، والإعاقات الجسدية، والتشوهات الخلقية، ويسهم ذلك في الانتقاص من قيمة النساء ذوات الإعاقة، وفي انتقاص النساء من قيمة أجسادهن. (حمود، 2023، صفحة 56)

وقد تتنوع وتتفاوت مظاهر التمييز ضد النساء ذوات الإعاقة، وقد ينعكس هذا التمييز على مختلف نواحي حياتهن في مختلف مجالات الحياة، وهذه القضية موجودة في مختلف دول العالم لكنها تتفاوت في شدتها، فيصبح هناك تمييز على المستوى الاجتماعي من حيث الرعاية والاهتمام والزواج. وكذلك على المستوى الاقتصادي، يكون التمييز على مستوى العمل ورفض أرباب العمل من تشغيل ذوي الإعاقة أو التشغيل بأجور متدنية، وحتى على المستوى السياسي في بعض المجتمعات قد تستبعد بسبب الصورة النمطية لنقص الأهلية وعدم القدرة على الإدارة، مما يسهم ذلك في تكريس عامل التمييز والاستغلال لهذه الفئة. (حمود، 2023، صفحة 57)

ومما سبق ذكره، يمكن أن نقول أن الصورة النمطية للمرأة المعاقة تحتل في امرأة ضعيفة، ناقصة، وغير مكتملة، مشوهة، غير قادرة على القيام بأدوارها في الحياة، لذلك تجرد من الحصول على مركز اجتماعي. تحرم من حق الزواج والانجاب والأمومة وغيرها على الرغم من إثبات الكثيرات قدرتهن وكفاحهن في تحقيق ذاتهن، وتمكنهن من الحياة الطبيعية.

3. الفن كوسيلة تعبير للمرأة المعاقة

غالباً ما تسود في المجتمعات تصورات ثقافية وصور نمطية تقليدية للسيدات اللواتي يعانين من إعاقات جسدية، تصفهن أنهن غير قادرات على الزواج والانجاب وتربية النسل، وهذا ما يقلل فرصهن في المشاركة الاجتماعية ويزيد من عزلتهن في مجتمعاتهن.

وبما أن الزواج والأمومة هما من الممنوعات عملياً ونوعياً بالنسبة للمرأة ذات الإعاقة، فإنهما يعتبران أعباءً كامنة لأن هؤلاء النساء لا يتوقع أن يتزوجن ولا يتصور عادة أنهن قادرات على كسب رزقهن بمفردهن وغالباً ما تنشأ النساء ذوات الإعاقة بمفهوم ينتقص من الذات مع صورة سلبية عن الذات. (جندل، 2016، صفحة 19)

كل هذه الرغبات الفطرية غير المشبعة من الهو، يحاول الأنا إسكاتها تحت ضغط الأنا الأعلى عن طريق الكبت، بحيث تختفي من الشعور، وتلقى إلى اللاشعور. يقول فرويد في هذا السياق: "الكبت علامة تدل على رغبة غريزية لم تشبع وإشباع بديل لهذه الرغبة، وهو نتيجة لعملية الكبت، ويصدر الكبت عن الأنا حينما يرفض -ربما بناءً على أمر الأنا الأعلى- أن يشترك في شحنة نفسية غريزية تصدر عن الهو ويستطيع الأنا بطريق الكبت أن يمنع الفكرة التي ترمز للدافع غير المرغوب فيه من الظهور في الشعور" (فرويد، 1989، صفحة 54)

يؤدي الكبت بوصفه آلية نفسية إلى تحويل الدوافع أو الرغبات إلى أشكال تعبيرية بديلة في أولها الحلم، لذا ارتكز فرويد في معالجته على تحليل الأحلام من جهة بوصفها وقائع نفسية عالية الدلالة على مجرى الإشباع غير المباشر الذي تعبر به الطاقة المكبوتة عن نفسها كما يعالجها مرة ثانية في تحليل الأعمال الفنية والأدبية. (قراش، 2020، صفحة 112)

أقر فرويد في بعض دراساته الآليات التي تساهم في عملية الإبداع الفني، وبيّن أنّ الخصائص الرئيسية التي تشترك في كثير مع تلك التي تكمن وراء عمليات ذهنية غير متمثلة في الظواهر كالأحلام والأعراض العصبية. ذلك أنّ اللاشعور هو الأساس الذي تقوم عليه هذه الظواهر والإبداع الفني على السواء، ولكنه يعمل بطريقة خاصة في كل منهما.

تعتبر الأعمال الفنية والأدبية مقترنة بالفضاء التعبيري الخاص الذي ينفرد به المبدعون على اختلاف مجالاتهم التعبيرية. يرى فرويد التجربة الفنية الجمالية على أنها تحرير للغريزة بواسطة الرمز. وبما أن الفن يعتبر وسيلة من وسائل التعبير، فإنه يعطي الفرصة للمعبر ليعكس الكثير من الأفكار الكامنة عنده. (البريكان، 2020، صفحة 114)

والفنان في نظر فرويد كالعصابي يحمي نفسه عن طريق الابتكار الفني، وهو إنسان حالم، يحاول نشر أوهامه ليعطيها بذلك دعماً اجتماعياً غير متوقع. أي أنّ الفنان يعيش في عالم الخيال ولكن بفرق أنّه يعرف كيف يجد سبيله للعودة إلى الواقع، وذلك بالتحويل من اللاوعي إلى الوعي والعكس. (البريكان، 2020، صفحة 77)

ويذكر فرويد أنّ الفنان يستمد أعماله الفنية من حياته، فإذا كشفنا عن علاقة العمل الفني بالفنان ومجتمعهم، فإن ذلك يكسب العمل لدى المتذوق دلالة إنسانية وقوة تعبيرية. (البريكان، 2020، صفحة 77)

أظهر المحلل النفسي فرويد كيف يمكن للفنان أن يحوّل حياته اللاشعورية إلى وعي عن طريق الفن، وبالتالي تعتبر المرأة المعاقة الفنانة الفن كوسيلة لتحرير دوافعها الكامنة، تجارب الطفولة، عقدها، غرائزها، وضغوطاتها، وما هي إلّا ترجمة للمعاناة التي تحمل تلك الروح المثقلة، ولم تجد سبيلاً آخر لتتجسد في الواقع وتطهر جسدها. وما هو إلّا هروب جزئي من محن الحياة ومشاكلها.

وبالتالي الفن ما هو إلّا نوع من الحفاظ على الحياة، تبتعد فيه المرأة المعاقة عن الواقع لعدم استطاعتها على إشباع غرائزها، وهي بذلك تختار طريق العالم الخيالي بالاستفادة من الموهبة.

4. أثر ممارسة الفن التشكيلي على الصحة النفسية للمرأة المعاقة

تعيش المرأة المعاقة في جسد مثقل من المعاناة والآهات، لا تجد سبيلاً لتجسيدها إلّا عن طريق الفن والأدب، وكما سبق وأشرنا أن الفن ما هو إلّا طريق للحفاظ على الحياة، تظهر أهميته في الحفاظ على الصحة النفسية والصراع من أجل البقاء، رغم كل المعوّقات.

يظهر أثر الفن في تعزيز الصحة النفسية من خلال آليتين أبرز أهميتهما التحليل النفسي في كسب الاتزان ألا وهما التنفيس والتسامي.

1.4 التنفيس:

"التنفيس هو الإفصاح عن بعض المعاني والأفكار التي استترت في اللاشعور وحجبتها ظروف الحياة، وتقاليدها على أن تخرج جهازاً للناس كي يتأملوها ويعرفوا مضمونها" (البريكان، 2020، صفحة 114)

ويقصد بالإفصاح هنا الفن التشكيلي، يبدع الفنان في الرسم انطلاقاً مما يكمن في اللاشعور، يستخدم الألوان المختلفة، يديه وفرشاته وغيرها من الأدوات، حتى يستطيع أن يخرج الانفعال أو الغضب الداخلي الذي يحس به. (البريكان، 2020)

تعيش المرأة المعاقة في مجتمع يوصمها ويحتجزها في إطار صورة نمطية كونه من تلقاء نفسه. يحرمها ممارسة حياة طبيعية فطرها الله عليها. يحرمها من اختبار اشباع رغبات غريزية، كالغريزة الجنسية، غريزة الأمومة وغيرها. يمنعها من المشاركة في الحياة، من العمل، من امتنان حرفة كونه يراها ضعيفة وغير قادرة، دون أن يجرب ما يمكن أن تحققة تلك المعاقة إذا ما وجدت أرضاً خصبة، إذا رآها من منظور التمكين.

وبالتالي تلجأ المرأة المعاقة إلى التعبير بالرسم أو بالخامات الفنية المختلفة كمصدر خصب لتجسيد انفعالاتها وإبراز دوافعها وحاجاتها التي لم تحقق، حيث يرى المحللون النفسانيون أنه كلما ازداد الحرمان زادت قوة التعبير، وكلما ازدادت الضغوط جاءت محاولة التنفيس حتمية.

التنفيس باستخدام الفن يعيد إلى الشخصية شيئاً من اتزانها، والمسألة التي نعالجها الآن تتوق على الانفعالات التي ترتبط بالفن التشكيلي، فالأعمال الفنية تحمل دلالات بقدر ما تتضمن من قوة انفعالية دافعة، فالفنان حينما يتفاعل مع البيئة يكون ممثلاً بالانفعالات يفرغها في قوالب فنية، وكلما أخرجها انزاحت عنه شحنة انفعالية كبيرة كان من الممكن أن تضطربه لو لم يخرجها. (البريكان، 2020، صفحة 115)

ويقف التعبير التشكيلي عن حالة من حالات الرؤية على مشارف الفصل الدقيق بين السقوط في دائرة المرض والسلامة النفسية، وهي التي تؤلف نوعاً من الصلة بين الفنان والواقع على نحو تتعطل فيه آليات اللاشعور والدفاع الباطني أمام الواقع. فالفنان الذي يبدو خالياً من أي ألم نفسي أو مرض نفسي هو فنان العلاقة المباشرة في الرؤية إلى الواقع وتصويره بمعيار حسي يفتقر إلى الترميز والتحويل وإقامة علاقة بعيدة الغور بين الشيء في البيئة والشيء على اللوحة المرسومة. (البريكان، 2020، الصفحات 115-116)

هناك علاقة معينة تربط الفنان بالأشياء التي يرسمها، وهي علاقة فيها ما يكفي من الذاكرة، والألم، وروابط الأمل ما يكفي لجعل الفن حاملاً لمهمة أخرى تتعدى صيغ النقل الآلي لها، وهنا يظهر عنصر الدلالة بين الشيء وذاكرة الفرد عند قيامه بالعمل الفني. كون الذاكرة عند تشكيلها في مخيلتنا تخضع لحالة من حالات الرمز ولكل رمز هم وجزء من مشكلته في الحياة. وكما نعلم أن اللاشعور هو حالة من تعطل الوعي لصالح اللاوعي في تكوين الرؤية وأن اللاشعور هو تشكيل معقد من التراكم الفني والتصوير المتشابه في الرؤية. (البريكان، 2020، الصفحات 116-117)

يظهر السبيل الثاني المعزز للصحة النفسية لدى المرأة الفنانة المعاقة في التسامي.

2.4 التسامي:

"التسامي مفهوم افترضه فرويد ليبين على أنه عملية النشاطات الإنسانية التي لا صلة ظاهرية لها مع الجنسية، ولكنها تستسقي مددها من قوة النزوة الجنسية. ولقد أطلق فرويد أساساً وصف التسامي على النشاط الفني والاستقصاء الذهني. وتطلق تسمية التسامي على النزوة بمقدار تحولها إلى هدف جديد غير جنسي، حيث تنصب على موضوعات ذات قيمة اجتماعية". (لابلانز و بونتايس، 1985، الصفحات 173-174)

يذكر فرويد أن الآليات التي تشترك في عملية الابداع الفني تعتمد اعتمادا كاملا على فكرة التسامي، وهي فكرة يستخدمها فرويد عند الحديث عن الداع الجنسي حيث يقول أن الداع الجنسي مزود بالقدرة على التسامي أي أنه يستطيع أن يستبدل بمحفبه القريب أهدافا تمتاز بأنها أرفع قيمة وبأنها غير جنسية. (البريكان، 2020، صفحة 76)

حيث أن الفنان إنسان يحاول الابتعاد عن الواقع لعدم استطاعته التخلي عن إشباع غرائزه وهو بذلك يجد طريقا آخر إلى الواقع في العالم الخيالي بالاستفادة من بعض المواهب الخاصة لديه، بتعديل تخيلاته إلى حقائق من نوع جديد يقومها الآخرون على أنها انعكاسات ثرية للواقع. وبهذه الطريقة يصبح الفنان هو البطل الذي يريد أن يكونه من دون اتباع المسار الطويل الشاق الخاص بإحداث تغييرات كبيرة في الواقع الخارجي. (البريكان، 2020، صفحة 76)

يشير فرويد بالتسامي إلى مصطلح السمو المستخدم في مجال الفنون الجميلة للدلالة على الانتاج الذي يوحى بالعظمة، والرفعة. يبحث فرويد عن القوة الدافعة لهذه التصرفات في تحوّل النزوات الجنسية إذ يقول: "تضع النزوة الجنسية كميات من القوة خارقة في كبرها، بتصرف العمل الثقافي، بفضل ما تتميز به من قدرة على إزاحة هدفها (من موضوع آخر) بدون أن تفقد اندفاعها الأساسي. وتطلق تسمية القدرة على التسامي على تلك القدرة على تغيير الهدف الجنسي الأصلي بهدف آخر غير جنسي، ولكنه يمت إليه نفسيا بصلة القربى". (لابلانز و بونتاليس، 1985، صفحة 174)

يظهر من خلال طرح المحلل النفسي فرويد على أن الشخص الذي يعتمد على عملية التسامي أي القادر على تعديل الهدف وتغيير الموضوع على أنه يمتلك قوة خارقة ورفعة وعظمة، وهو ما يدل إلا على قدرة وعظمة المرأة المعاقة الفنانة التي استطاعت أن تأخذ الفن كأداة تعبيرية، وبفضل التسامي استطاعت أن تحوّل ذلك الصراع الداخلي غير المسموع إلى صدى عظيم للخارج عن طريق الفن التشكيلي ولوحاتها التي تنقل من خلالها معاناتها النفسية وضغوطها. وفي الأخير استطاعت أن تعزز صحتها النفسية وتنتقل من الأمل إلى الأمل الذي يشع من داخلها.

5. الفوائد الاجتماعية التي يمكن أن تحققها المرأة المعاقة من خلال التعبير الفني

يساعد الفن في تحقيق أو تعزيز الصحة النفسية للمرأة المعاقة ولغيرها من الفنانين، إلا أن الفوائد التي يمكن أن تحققها المرأة المعاقة تكون أوسع لتشمل الجانب الاقتصادي والاجتماعي، وغيره من الجوانب. وفي هذا العنصر نحاول التركيز على الفوائد الاجتماعية كون أن المرأة المعاقة تعاني من التهميش والعزل في كثير من المجتمعات.

إن تحليل وتفسير الفن والفنان حسب فرويد ينتهي إلى أن سبب اهتمام الفنان بالفن هو محاولة جذب المشاهد نحو حلمه بطريقته الخاصة وعمله هو محاولة تشكيل أحلامه بالوسائط الفنية، وهو ما ناقشه أيضا لما ذكر مقولته أن: "الفنان كالعصابي يحمي نفسه عن طريق الابتكار الفني، وه إنسان حالم، يحاول نشر أوهامه ليعطيها بذلك دعما اجتماعيا غير متوقع". (البريكان، 2020، صفحة 77)

وعليه، يجب الأخذ بعين الاعتبار أن المرأة الفنانة ذات الإعاقة تعبّر عن صرختها القوية التي تنادي بها المجتمع الذي تنتمي إليه، لضرورة الالتفاتة لها عن طريق العمل الفني، وبمكتنا أن نلخص "الدعم الاجتماعي" الذي يبحث عنه الفنان حسب ما ذكر فرويد، متجسدا في كيان المرأة المعاقة الفنانة، في:

- يكون الفن الجسر الذي يتيح لها التواصل مع الآخرين، وبناء صداقات وعلاقات اجتماعية جديدة.

- مشاركة المرأة الفنانة ذات الإعاقة أعمالها الفنية في المعارض تتيح لها نشر الوعي حول التحديات التي تواجهها النساء ذوات الإعاقة، مما يساهم في زيادة الوعي حول قضايا الإعاقة وتعزيز التقبل في المجتمع.

- بالإضافة إلى أن التأثير والإلهام فتصبح المرأة المعاقة نموذجاً يحتذى به أمام النساء ذوات الإعاقة وغيرهم من خلال تمرير رسالة أنّ الإعاقة ليست عائقاً أمام الإبداع والنجاح.

وفي الأخير نعرض المبادرة التي قامت بها الدولة الجزائرية من خلال افتتاح وزير الثقافة "زهير بللو" معرض جماعي يضم أعمال تشكيلية لفنانين من ذوي الاحتياجات الخاصة في الخامس من فيفري 2025، بقصر الثقافة "مفدي زكريا" بالجزائر العاصمة، والذي شارك فيه قرابة 20 فناناً عصامياً من ذوي الإعاقة الجسدية والذهنية، والذين شاركوا إبداعات مؤثرة تبرز عبقريتهم الإبداعية، وتكسّر بعض الأفكار المسبقة حول إعاقاتهم. (وكالة الأنباء الجزائرية، 2025)

ومن الأسماء المشهورة في الساحة الفنية الجزائرية للنساء ذوات الإعاقة، الفنانة "حسينة زحاف" التي كانت مشاركة حاضرة بالمعرض. والتي تعتبر رمزا من رموز الفن من النساء ذوات الإعاقة في المجتمع الجزائري.

حسينة زحاف من الجزائر العاصمة، تعاني من إعاقة دماغية حركية، قدّمت أعمالاً فنية تكشف جمال الأنوثة، من خلال بورتريهات لنساء ذات ملامح وأشكال مشوهة، داعية الزوار إلى التأمل في الحالة النفسية لهذه الشخصية المجهولة مثل المرأة التي تعزف عن الكمان أو الثنائي الشاب. (وكالة الأنباء الجزائرية، 2025)

رغم التحديات التي تواجهها حسينة زحاف بسبب إعاقته الدماغية الحركية، استطاعت أن تحوّل الفن إلى أداة للتأمل والتواصل العاطفي، حيث تعكس لوحاتها ملامح مشوهة لشخصيات مجهولة، ممّا يدفع المشاهد للتفكير في الأثر النفسي الكامن وراء تلك التشوهات. أعمالها كانت تطرح تساؤلات حول مفهوم الجمال والمعايير الاجتماعية المرتبطة به، وهو ما ناقشناه سابقاً من خلال الإجابة على التساؤلات التي انطلقت منها الدراسة.

توجّه زحاف كذلك دعوة إلى فهم أعمق للحالة النفسية للمرأة ذات إعاقة، وتؤكد من خلال مبادراتها الفنية على قدرة الفن على إبراز الهشاشة الإنسانية بطريقة صادقة ومؤثرة.

6. خاتمة:

تعد الإعاقة من أسباب التهميش في المجتمعات، كون للمعاق احتياجات خاصة يجدر على القائمين على الدولة توفيرها كي يحظى بالمساواة مع باقي فئات المجتمع. إلا أنّ التقصير في تلبية تلك الاحتياجات يجعل المعاق في عجز، يستغله أفراد المجتمع في وصمهم والنظر إليهم بمنظار سلبي كنظرات الازدراء، والاحتقار، الشفقة أو العاطفة الجياشة، وكل هذا يؤثر سلباً على صحة الأشخاص ذوي الإعاقة نفسياً واجتماعياً. وهو ما يترك الكثير منهم يسقط فريسة الأمراض النفسية والسيكوسوماتية، والانحرافات، أما البعض الآخر يمتلك قدرة خارقة للتخطي، يسميها المحللون النفسانيون بالتسامي، وهي التي تظهر لدى فئة الفنانين من الأشخاص ذوي الإعاقة.

تظهر تلك القدرة الخارقة اجرائياً في دراستنا من خلال قدرة المرأة المعاقة على التوجه نحو الفن التشكيلي من أجل تحرير الآلام المكبوتة في منطقة اللا شعور، واستغلالها في التعبير عن ما يؤثر فيها وعليها، والتنفيس عن كل جروح وآلام تسببت فيه الإعاقة والمجتمع بشكل خاص من خلال رسم لوحات تنقل معاشهم ومشاركتها الآخرين وفي المعارض، وبذلك تكون قد عززت صحتها

لزرقة سجيدة

النفسية من خلال التنفيس والتسامي واستطاعت أن تكسب جمهوراً، وتحقق صداقات، وتؤثر في مجتمع يجهل حقيقتها، وتكون مثالا لنظيراتها كي لا يأسرهم العجز والمعاناة.

تغلب المرأة ذات الإعاقة على التحديات التي تثقلها من خلال التسامي ما هو إلا تفسير لقدرتها الخارقة التي يتوجب على المجتمع أن يدركها وأن يستغلها في جوانب عديدة لتنميته.

ما نكاد ننهي دراستنا إلا وبالحرج بتوصيات تساهم في تحرير المرأة المعاقة من سجن الصور النمطية وإعادة ادماجها واستغلال قدرتها في تنمية المجتمع ويكون ذلك بـ:

- ضرورة تصحيح الأفكار لدى المجتمع حول "الشخص ذو إعاقة" والمرأة ذات الإعاقة بشكل خاص.
- ضرورة تثقيف المجتمعات على تبني منظور تمكيني في التعامل مع ذوي الإعاقة بدل منظور الاستضعاف أو الاستعطاف الذي يولد لديهم الشعور بالحاجة والعوز، من خلال تسهيل التنقل للأشخاص ذوي الإعاقة، وتلبية احتياجاتهم، وتكييف المسالك والمؤسسات حسب إعاقاتهم.
- ضرورة فتح المجال وإعطاء الفرص للأشخاص ذوي الإعاقة للكشف عن قدراتهم في شتى المجالات من أجل استفادة المجتمع من مواهبهم وقدراتهم والمشاركة في تنمية المجتمع.

7. قائمة المراجع:

- البريكان، مها عبد الله. (2020). العلاج بالفن كمدخل للصحة النفسية، ط1. بيروت: مطابع الدار العربية للعلوم.
- جندل، جاسم محمد. (2016). موسوعة المتلازمات في الطب، المتلازمات الإعاقية، ط1. عمان: دار المستقبل للنشر والتوزيع.
- حمود، حسن هاشم. (ربيع، 2023). الوصم والإعاقة دراسة تحليلية في التمثيلات الاجتماعية للإعاقة. مجلة حمورابي للدراسات، 1(45)، الصفحات 41-63.
- فاصولي، زينب. (10 جانفي، 2021). الواقع الصحي والاجتماعي لذوي الإعاقات في الجزائر مفارقات بين التشريعات والواقع المعاش. مجلة الباحث في العلوم الرياضية والاجتماعية، 4(7)، الصفحات 216-231.
- فرويد، سيغموند. (1989). الكف والعرض والقلق، (محمد عثمان نجاتي، مترجم)، ط4. بيروت: دار الشروق.
- قراش، محمد. (10 جوان، 2020). التحليل النفسي وتفسير الفن والأدب: قراءة في الإسهامات التأسيسية لسيغموند فرويد. مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، 5(18)، الصفحات 108-123.
- لابلان، جان، و بونتاليس، ج.ب. (1985). معجم مصطلحات التحليل النفسي (مصطفى حجازي، مترجم)، ط1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- منظمة الصحة العالمية. (2025). العنف والإصابات والإعاقة. تاريخ الاسترداد 28 أبريل، 2025، من منظمة الصحة العالمية إقليم شرق المتوسط: <https://www.emro.who.int/ar/violence-injuries-disabilities/disabilities>
- وكالة الأنباء الجزائرية. (5 فيفري، 2025). المبدعون من ذوي الاحتياجات الخاصة يعرضون أعمالهم بالجزائر العاصمة. تاريخ الاسترداد 28 أبريل، 2025، من: وكالة الأنباء الجزائرية *Algérie Presse Service* <https://www.aps.dz/ar/culture/175108-2025-02-04-22-16-13>